

رومانيا وأنطاكية وتظهير الوحدة الأرثوذكسية

الأب أنطوان ملكي

في ٢٠١٨، ذكرت شركة الاستشارات العالمية ماكينزي آند كومباني أن "دبي حاليًا أكثر مدن العالم عالمية، حيث يشكل السكان المولودون في خارجها ٨٣ في المائة من مجموع سكانها. وهم ينتمون إلى أكثر من ٢٠٠ دولة ويتحدثون أكثر من ١٤٠ لغة مختلفة" [١]. هذه المدينة التي انطلقت أواسط القرن العشرين تحوّلت أحد أهم مراكز التجارة بين مختلف أجزاء آسيا والقارات الأخرى.

من قبل أن تُطلق دبي كان بعض اللبنانيين والسوريين فيها حاملين مختلف انتماءاتهم وممارساتهم ومنها الدينية. بالتحديد، الأرثوذكسيون أوجدوا لهم كنيسة ولاقتهم كنيسةهم الأنطاكية الأم بتعيين راعٍ لهذه الكنيسة منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، عبر أبرشية بغداد والكويت. ومنذ ذلك الحين خدمت هذه الكنيسة كل الأرثوذكسيين الموجودين في دبي والشارقة من مختلف كنائسهم، فكان يجتمع فيها العرب من أردنيين وفلسطينيين واليونان والصرب والبلغار والأوكران والرومان والجورجيون، في لقاء ليتورجي يعكس، بالرغم من كل الضعفات البشرية، عمل الروح القدس الذي يوحد ويجمع. جدير بالذكر أن الإمارات العربية هي أرض أنطاكية وأن خدمة أنطاكية لكل الأرثوذكسيين هناك أتت بشكل طبيعي، وليست نتيجة وصول الأنطاكيين قبل غيرهم. فعلى سبيل المثال، وصول الروس إلى أميركا الشمالية قبل غيرهم جعل الكنائس الأخرى تتعاطى مع أميركا كأرض روسية. هذا ما نقرؤه في سيرة القديس رافائيل هواويني كما عند مؤرخ الكرسي الأنطاكي أسد رستم [٢]. في أميركا، قد سلكت الكنائس الأخرى السلوك نفسه حتى سقوط الشيوعية في أوروبا الشرقية وتحرر غالبية الكنائس الأرثوذكسية من ذاك النير. فقبل ذلك كنت تجد في الكنيسة الأرثوذكسية في أميركا (OCA)، وهي نظرياً الكنيسة الوريثة للكنيسة الروسية في أميركا، أسقفاً لكل من الرومان والأوكران والصرب والبلغار وغيرهم. من دون الخوض بتفاصيل الأرثوذكسية في أميركا، إلا أنها تحوّلت إلى مركز أزمة المهاجر المستعصية بين الكنائس الأرثوذكسية، لأن الكنائس القديمة لم تعترف بالكنيسة الأرثوذكسية في أميركا، مع أنها تتعامل معها، وأسست كل منها أبرشيتها.

في ٢٠١٤، راجعت الكنيسة الأنطاكية جغرافية انتشارها، وأوجدت عدداً من الأبرشيات والمعتمديات الجديدة. بنتيجته صارت دولة الإمارات العربية المتحدة معتمدية على رأسها المعتمد البطريركي صاحب السيادة الأسقف غريغوريوس (خوري عبدالله). لقد عرفت الكنيسة في الإمارات نهضة مهمة وأنشأت عدة رعايا جديدة.

بنت كنيسة موسكو مجمّعاً رائع البنيان في الشارقة، وُضع حجر أساسه في ٢٠٠٧ وتمّ تدشينه في ٢٠١١. لا تأتي صفحتها الرسمية على أي ذكر للكنيسة الأنطاكية، كما تخلو أخبار وضع حجر الأساس والتدشين والصور المرافقة للخبرين، من أي ذكر للكنيسة أنطاكية، مع أن الذين عايشوا نشوء هذه الرعية يؤكّدون أن كل شيء كان بالتنسيق مع أنطاكية. جدير بالذكر أن المشروع ككل أتى نتيجة جهد دبلوماسي روسي كبير. تحمل هذه الكنيسة اسم الرسول فيليب الذي تذكّر أنه كان أول الرسل الكارزين في تلك المنطقة في القرن الأول. كما تذكر صفحة الكنيسة الروسية في الشارقة، وهي بالروسية كلياً، أن "الصلبان الأرثوذكسية ارتفعت إلى سماء العرب على قبابها. على الرغم من كل الصعوبات والعقبات، في الأرض العربية القديمة، يشتعل 'مصباح' الإيمان الأرثوذكسي وتُسمع الصلاة الأرثوذكسية لربنا يسوع المسيح". هذا الكلام يعكس الواقع حيث أن الكنيسة الروسية في الشارقة هي الوحيدة دون غيرها من أبنية الكنائس القائمة التي ترفع الصليب وتقرع الأجراس. يضمّ المجمع المذكور كنيسة ومركزاً ثقافياً وتعليمياً فيه مدارس أحد للأطفال، وأماكن لقاءات للبالغين [٣].

في جلسته المنعقدة في ٢١ تموز ٢٠٢١، أعلن المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية الرومانية افتتاح رعية في دبي، كما ورد على وكالة أنباء البطريركية الرومانية باسيليكاً. سوف يخدم هذه الرعية الأب الكسندر تروشكان، في كنيسة بشارة والدة الإله الأنطاكية في دبي، على أن تُبنى كنيسة لميلاد السيدة متى توفرت الأرض. أول قداس للرعية سوف يُقام في عيدها في ٨ أيلول المقبل [٤]. هذا الخبر أوردته أيضاً البطريركية الأنطاكية في بيان صحفي في السادس من آب مشددة على التعاون بين الكنيستين، واصفة هذه المبادرة بالفريدة وأنها تمّت باقتراح من البطريرك الروماني السيد دانيال. يستشهد البيان المذكور بالبطريرك الروماني بأن هذا التطور سيقوّي "العلاقة التي تعود إلى قرون بين الكنيستين الأرثوذكسيتين الشقيقتين والحضور الأرثوذكسي والشهادة في هذا الجزء من العالم" [٥].

مهم تسليط الضوء على هذه التطورات في الكنيسة الأنطاكية بشكل خاص، وفي الكنيسة الأرثوذكسية بشكل عام. أن نعرف أن عدد الرعايا يزداد في مناطق يحتاج أبنائنا فيها إلى ما يبقينهم على يقظة إيمانية لهو أمر معزٍ ومنعش، نرجو أن نراه في كل الأبرشيات المقيمة والمهاجرة منها. فأنطاكياً، تعيش كافة الأبرشيات المقيمة في لبنان وسوريا ضغوطات ومآسٍ غالباً ما تنعكس على حياة الرعية. لكن الأخبار الجميلة التي ترد من المعتمديات أو من أبرشيات المهاجر، كأوروبا الوسطى، تعزّي وتقول أن الأمر ليس أعداداً ولا عقارات، بل هو الروح الذي إما يترك له القائمون على العمل الباب

مفتوحاً ليدخل ويصنع مسكناً، أو يغلقونه ويشترطون عليه ما يفعل، ما يدفع بعض مهاجريننا إلى البحث عن انتماء ما لهم، يوقعهم في فخ الكنائس التي تُصنّف بحسب الجنسيات لا الإيمان. يعكس هذا التعاون الذي يجري بين رومانيا وأنطاكية اللياقة والترتيب في وقت بدأ الناس يفتقدونهما. في العقدين الأخيرين عرفت الكنيسة الأرثوذكسية عدة مشاكل بين الكنائس تدور حول مناطق السلطة. بعض هذه المشاكل أنتجت قطيعة بين الكنائس. نذكر هنا مشكلتين، الأولى هي دخول كنيسة أورشليم إلى قطر وادعاء أن قطر جزء منها، وكأن قطر جزيرة خارج الخليج العربي ولا تخضع لنفس الانتماء الأنطاكي الذي ينطبق على الإمارات وصولاً إلى مناطق بلاد فارس المتاخمة لبحر العرب. أما الخروج الثاني على التقليد فهو التدخل المباشر للقسطنطينية في أوكرانيا التي هي أراضٍ روسية. الخروج الأول نتج عنه قطع شركة بين أنطاكية وأورشليم والثاني قطع الشركة بين روسيا وكل من يعترف بالكيان غير القانوني الذي أنشأته القسطنطينية.

يوجّه التعاون الأنطاكي الروماني ثلاث رسائل إلى العالم الأرثوذكسي. الرسالة الأولى هي أن تكميل بعضنا البعض ممكن ولا يحتاج إلى أكثر من النية الصافية والتواصل الأخوي. هذا التعاون يتيح للكنائس كافة أن تقوم برعايتها لأبنائها مكفلة، كما أنها تعطي للعالم صورة شاهدة عن الوحدة الأرثوذكسية.

الرسالة الثانية هي إدانة كل محاولات الخلط بين القوميات والكنائس إذ يظهر هذا التعاون إمكانية جعل القومية واللغة في خدمة الإيمان والرعاية في الكنيسة.

الرسالة الثالثة واضحة بأن الكنيسة الأرثوذكسية تقوم على كنائس محلية وليس على معسكرات. هناك اليوم جهد يقوم دولاً وأنظمة ومؤسسات كونية بالسعي إلى فرضه واستغلاله وذلك بتصنيف الكنائس المحلية في معسكرين سلافي ويوناني. إن التعاون القائم بين أنطاكية ورومانيا يفشل هذا الجهد، ويظهر أن هذا الاصطفاف ليس كنسي المنشأ وأن محاربتة ممكنة بالعودة إلى الروح الكنسية الحق التي تتجلى بالقوانين والأصول والتقليد.

أخيراً، هناك رسالة إلى أنطاكية نفسها. هذا التعاون يسلط الضوء على دور أنطاكية أرثوذكسي خبا إلى حد كبير لأسباب تحتاج إلى درس، منها غرق القيادات الأنطاكية المزمّن بالأمور اليومية وابتعادها عن "الاستراتيجيات" والهموم الأرثوذكسية العامة، وبهوث الروح الأرثوذكسية في أنطاكية بسبب الانغماس في المسكونية وهيمنة الدهرية على الرعاية واللاهوت. إن وعي أنطاكية لهذا الدور وهذا الروح يعيد تثبيتها كعنصر اعتدال بين المعسكرات وكعامل إستنارة في زمان الانحراف المسكوني والسقوط الدهري.

[1] Waheed Abbas (2018). "Dubai named world's most cosmopolitan city". *Khaleej Times*. Dubai. Filed on October 14, 2018. <https://www.khaleejtimes.com/uae/dubai/indian-expat-wins-1-million-at-dubai-duty-free-raffle>

[٢] أسد رستم. كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى. الجزء الثالث ١٤٥٣-١٩٢٨. منشورات المكتبة البولسية. بيروت. ١٩٨٨. ص. ٣١٥-٣١٨.

[3] <http://www.rus-church.ae/>

[4] <https://basilica.ro/en/communique-antioch-patriarchate-joyfully-announces-creation-of-romanian-parish-in-dubai/>

[5] <https://www.elnashra.com/news/show/1520713/>